بين التشكيك في إسلام علي وتثبيت إسلام معاوية

ابن تيمية مرة أخرى

الشيعة غالباً ما يتهورون في تصحيح ما يشهد ظاهر الحديث ببطلانه فضلاً عن إسناده ... من الأحاديث الطويلة والركيكة المعنى.. وقد يفعل أهل السنة بعض هذا في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم.... كما أن بعض أهل السنة المذهبية قد يتعصب في رد فضائل للإمام علي أو أهل البيت الثابتة على شرطهم بمجرد التعصب والهوى... ومن أبرز علماء أهل السنة المتعصبين في هذا الأمر ابن تيمية[1].. ولا أبالغ إذا قلت أنه أبرز المشوهين لمنهج أهل (السنة) من القرن الثامن إلى اليوم.. لأن السنة المحمدية على حقيقتها ليست سوى الإيمان والعدل والصدق وقول الحق ... بينما استطاع ابن تيمية من تحويل هذا المعنى الجميل إلى معنى مذهبي ضيق لا يرى للآخرين حقاً ولا معروفاً إلا عرضاً ولا ينكر على

---

[1] فهو يكرر أحاديث موضوعة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ويضعف أحاديث متواترة في فضل علي.. كل هذا لأجل الخصومة المذهبية فقط.. ومن نماذج الأحاديث الموضوعة التي يحتج بها، حديث (لو لم أبعث فيكم لبعث عمر) كرره في الفتاوى ثمان مرات و هو موضوع، و حديث (ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر) كرره مرتين و هو موضوع، وحديث (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) وهو ضعيف منكر، وأحاديث كررها في فضائل معاوية وكل حديث في فضل معاوية فهو كذب كما قال إسحاق بن راهويه وغيره ممن لا يتهمون في معاوية.. إضافة لتصحيحه فضائل الشام وكلها ضعيفة، إما سياسية موضوعة وإما تتعلق بزمان دون زمان، بينما في الجانب الآخر يضعف أحاديث متواترة وصحيحة في فضل علي، وأشهرها، حديث الموالاة، وحديث المؤاخاة، وغيرها...

أهل مذهبه باطلاً ولا نقصاً.. وهذا غاية في الظلم والتعصب.. وهذه (السنة) التي ينطلق منها ابن تيمية هي السنة المذهبية السياسية الإقليمية، وهي غير السنة المحمدية التي هي أوسع من الإقليم وأعدل من المذهب وأرفع من السياسة ...

خذ مثلاً أن أهل السنة المحمدية لا يشكون في إسلام علي من يوم أسلم أنه صحيح الإسلام... ولكن بعضهم قد يشك في إسلام الطلقاء حين أسلموا بأنهم ليسوا صحيحي الإسلام.. فماذا فعل ابن تيمية؟؟

لقد قلب المسألة رأساً على عقب، وجعل إسلام علي يوم أسلم محل شك... وإسلام معاوية يوم أسلم محل يقين!..

فقال عن إسلام علي في منهاج السنة (٨/٢٨٦): (أما إسلام علي فهل يكون مخرجاً له من الكفر؟! على قولين مشهورين! ومذهب الشافعي أن إسلام الصبي غير مخرج له من الكفر)!

ومع هذا النص يبقى ابن تيمية محل رضا وحب عند هؤلاء الحمقى! وأنه يمثل أهل السنة! ماذا هذا التعصب والبرود في الدفاع عن الإمام علي مع الحرارة في الدفاع عن معاوية؟

طبعاً لا أريد هنا أن أنقل الأقوال في صحة إسلام علي، وأن النبي (ص) قبل إسلامه ولا يحتاج لفتوى من ابن تيمية.

و أريد أن أنقل تحريف ابن تيمية لكلام الشافعي

ولا أن أبيّن كلام الشافعي وغيره في مورد آخر تماماً[2]..

[2] كان الفقهاء المسلمون يواجهون أسئلة تتعلق بأطفال الأسرى من الكفار، هل إذا مات طفل في الأسر مع أبويه أومع أحدهما، هل يصلى عليه لأنه على الفطرة أم يكون حكمه حكم أبويه؟ فكان بعضهم يقول إذا بلغ التمييز فحكمه حكم أبويه وغذا كان طفلاً فإنه يصلى عليه ويكفن ويدفن مع المسلمين.. الخ فاستغل ابن تيمية هذه المسألة ونقلها إلى التشكيك في إسلام علي يوم أسلم، بأنه أسلم صغيراً وأن إسلام الصغير فيه خلاف هل يقبل أم لا.. فانظرا أين بلغ به النصب؟! فالإمام علي الذي أسلم وقد بلغ سن التميز أصلاً (عشر سنوات أو ثلاث عشرو سنة) وكان بذلك أول الناس إسلاماً بعد خديجة، أستطاع ابن تيمية أن يقلب هذه الفضيلة منقصة، فأي فضيلة له لا يستطيع ابن تيمية قلبها إلى ضدها؟ وأصبح بهذا الصحابي الوحيد المشكوك في بداية إسلامه عند ابن تيمية.. اعطوني صحابياً آخر ولو من الطلقاء والأعراب شكك ابن تيمية في بداية إسلامه غير علي بن أبي طالب أول المسلمين إسلاماً؟ لن تجدوا .. وبهذا وأمثاله نجزم بنصب ابن تيمية مطمئنين..

ولا أن سن علي في بداية البعثة كان ثلاث عشرة سنة أو عشر على أقل تقدير[3] (عمره ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥ سنة)..

ولا إجماع العلماء على أن علياً من السابقين إلى الإسلام.. ولا غير ذلك..

بينما عندما نقارن كلام ابن تيمية عن إسلام علي بكلامه – ليس عن إسلام عمر وعثمان وأمثالهم ممن تأخر إسلامهم عن إسلام علي إجماعاً– وإنما نقارنه بما ذكره عن إسلام معاوية ويزيد ومروان، لو نفعل هذا سنجد أن إسلامه عن هؤلاء أفضل من كلامه عن إسلام الإمام علي.

فهو يقول مثلاً عندما سئل عن إسلام معاوية (في مجموع الفتاوى(٤/ ٤٥٣): فأجاب بحماس شديد قائلاً:

(إيمان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ثابت بالنقل المتواتر وإجماع أهل العلم ..)!

هكذا بحماس!

وعبّر بالإيمان مع أن السؤال كان عن الإسلام!

ثم ادعى النقل المتواتر والإجماع على حصول هذا الإيمان[4]!..

وهي شهادة لا يجرؤ عليها حذيفة بن اليمان!

---

[3] نحن لم نأخذ بالأقوال المبالغة هنا وهناك.. فلا نأخذ بقول من يقول أسلم وعمره ١٦ سنة أو ١٨ سنة .. ولا بقول من يقول أسلم وعمره سبع أو خمس.. والأدلة قائمة على أن الإسلام جاء وهو عاقل مميز وقد يكون في مرحلة البلوغ - كما في حديث عفيف الكندي- وكان هو وطلحة والزبير وسعد أبناء عام واحد.. ولا أحد يشكك في إسلام هؤلاء لا ابن تيمية ولا غيره.. باستثناء الإمام علي وهو أفضلهم شكك في إسلامه ابن تيمية فقط..

[4] أي نقل يتحدث عنه؟ فإسلام معاوية لا يختلف في ظروفه عن إسلام أبي سفيان وعيينة بن حصن وطليحة بن خويلد.. فإنه بعد فتح مكة هب الناس مسلمين ومستسلمين.. لا يعرف الصادق إسلامه من المنافق، نعم تبين فيما بعد أن أبا سفيان ومعاوية والحكم بن أبي العاص لم يحسن إسلامهم.. ثم ما هذا الإجماع الذي ينقله ابن تيمية؟ وكأن أهل بدر وأهل الرضوان وكبار التابعين ليسوا من العلماء ولا يصلحون لخرق الإجماع الحنبلي!..وأكثر هؤلاء على ذم معاوية مع تفاوت ذمهم له من الطعن في إسلامه واتهامه بأنه لم يسلم أصلاً وإنما استسلم حتى وجد أعواناً ... إلى الطعن في سيرته.. والطعن في سيرة معاوية شبه إجماع إلا عند النواصب والحنابلة..

ثم حاول أن يقدّم إسلام معاوية سنتين! بعد أن اخّر إسلام علي سنوات! فقال:

(وقد روى أن معاوية بن أبى سفيان أسلم قبل ذلك .... فإن كان هذا صحيحا فهذا من المهاجرين...)

مع أنه تزوج أحدى مطلقات عمر بعد الحديبية بمدة وبعد نزول (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) –كما في الصحيح ..

ثم حمل بشدة على من يشكك بأن إسلام معاوية ظاهري أو شابه نفاق، فقال في – مجموع الفتاوى [جزء ٤ – صفحة ٤٧٦] (.... ومن قال عن معاوية وأمثاله ممن ظهر إسلامه وصلاته وحجه وصيامه أنه لم يسلم وأنه كان مقيماً على الكفر فهو بمنزلة من يقول ذلك في غيره[5] ،كما لو ادعى مدع ذلك في العباس وجعفر وعقيل[6]! وفى أبى بكر وعمر وعثمان[7]! وكما لو ادعى أن الحسن والحسين ليسا ولدى على بن أبى طالب! إنما هما أولاد سلمان الفارسي[8]! ....!

---

[5] هكذا بالإطلاق! ... وسيأتي أنه يقصد أن التشكيك في إسلام معاوية كالتشكيك في إسلام إبي بكر وعمر وعثمان وجعفر وعلي وأمثالهم! هكذا يجازف مجنون معاوية.. إذا يغلي غليان القدر وينفجر بخاراً ..!

[6] يعني أن التشكيك في إسلام معاوية كالتشكيك في إسلام جعفر بن أبي طالب! (هل هناك سني منصف أو حتى ناصبي عاقل يقول مثل هذا القول؟ أين الطلقاء من السابقين إلى الإسلام؟)

[7] وهنا جعل ابن تيمية من يشكك في إسلام معاوية كمن يشكك في إسلام أبي بكر وعمر؟ هل هناك سني منصف أو ناصبي عاقل يقول بهذا القول؟ وهنا يتبين أن حماس ابن تيمية ونحوه في الدفاع عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قد لا يكون الهدف منه إلا معاوية! فالنواصب لا يستطيعون التشنيع على الشيعة بذمهم لمعاوية وأمثاله، ولذلك فتشنيع النواصب على الشيعة بذمهم لأبي بكر وأمثاله ليس دفاعاً عن أبي بكر وأمثاله من السابقين، وإنما حتى لا يسمع الناس منهم ذماً لمعاوية وأمثاله!..

[8] انظر إلى هذا المنطق والمقارنة؟ ولماذا يستهدف بيت النبوة بهذه الأمثلة؟ وانظر مساواته بين من يشكك في صحة إسلام معاوية ومن يشكك في طهارة بيت النبوة وصحة أنسابهم!.. ثم لا يبين هل يريد أن يكون الحسن والحسين أبناء سلمان الفارسي بزواج أم بسفاح؟ فهو فاحش بذيء يفجر في الخصومة، وهو يصرح أن الشك في أنساب من طهرهم الله تطهيراً كالشك في صحة إسلام دعاة النار! فالأمرين عنده سيان، بل إنكار صحة إسلام معاوية عنده أكبر ذنباً وأقبح من هذه الأمور كلها كما سيأتي..

بل إنكار إسلام معاوية أقبح من إنكار هذه الأمور[9]! فان منها مالا يعرفه إلا العلماء!

وأما إسلام معاوية وولايته على المسلمين والإمارة والخلافة فأمر يعرفه جماهير الخلق[10]!

ولو أنكر منكر إسلام علي أو إدعى بقاءه على الكفر لم يحتج عليه الا بمثل ما يحتج به على من أنكر إسلام أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم[11]

وإن كان بعضهم أفضل من بعض فتفاضلهم لا يمنع اشتراكهم في ظهور إسلامهم!..) الخ ثرثرته....

والخلاصة هنا: أنكم قد رأيتم كيف أن ابن تيمية في هذا الأمر الظاهر..جره نصبه وانحرافه عن الإمام علي إلى التشكيك في أول المسلمين إسلاماً وتأخيره سنوات (على قول اخترعه للشافعي في غير موضعه)! ثم لا يبين لنا ابن تيمية متى صح إسلام علي ومتى خرج من الكفر؟!

أكان بعد البعثة بسنة أو خمس سنوات أو عشر سنوات؟ حتى نبغضه في السنوات التي بقي فيها كافراً لأنه لا يجوز محبة الكافر في حالة كفره..!

بينما نقل لنا إسلام معاوية بالتواتر والإجماع مع تقديمه هذا الإسلام سنتين..!..

وعلى هذا لا يجوز بغضه حتى أيام كفره لأنه ربما أسلم قبل ذلك ..!

وعلى كل الأحوال فإنه يندر في السلفية المتأخرة الإقرار بفضيلة لعلي رضي الله عنه يرون فيها تفضيلاً له وحجة لمحبيه[12]، فشوهوا السنة المحمدية وجعلوها تابعة لعقيدة مذهبية وضعت فيما بعد، وليست

---

[9] أرأيتم مجنون معاوية؟! جعل الأمور السابقة كلها أهون من التشكيك في صحة إسلام معاوية! هذا جنون النصب..

[10] السؤال عن إسلام معاوية... فذكره للولاية والخلافة وحشرهما في الموضوع هو شعور داخلي بأن إسلام معاوية يحتاج لإسناد! ومعرفة جماهير الخلق بأن معاوية أخذ الملك غصباً عن الأمة لا يزيد الناس في معاوية إلا شكاً بأن إسلامه لم يكن خالصاً لله.. ..

[11] هكذا ... يجمع آخر من أسلم مع توفر الدواعي على الشك في صحة إسلامه من الرغبة والرهبة، واستمرار سوء سيرته بعد إسلامه، مع أول من أسلم مختاراً الله ورسوله عندما كانت الرغبة والرهبة في الجانب الآخر..مع حسن السيرة في أول إسلامه وآخره.. بل لو لم يحتج من يتهم معاوية بالنفاق إلا بحديث (لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق) لكفى به حجة.. والاحتجاج بهذا الحديث وحده أقوى من كل هذه الثرثرة..

[12] وأبرزهم هؤلاء الدارسين المعاصرين، الدكتور الفاضل الفاضل أكرم ضياء العمري في كتابه (صحيح السيرة

قطعية وإنما غايتها أن تكون محل اجتهاد، وسامى هذا الحرص في رد فضائل علي حرصهم الآخر على إثبات فضائل ضعيفة لغيره من الصحابة، حتى وصل التساهل إلى تصحيح موضوعات في فضل معاوية وأمثاله، مع تسليمهم باستغناء كل ذي فضل بما ثبت، وغناؤه عن التزيد بما وهن، فاستغربت هذا الحفر الليلي الدؤوب في الجانبين، سلب لما ثبت هنا، وإلحاح على ما ضعف هناك.. ولا يكفي تسويغاً لهذا القطع والوصل؛ أن يقال إن الآخرين يفعلون الفعل نفسه، وأننا أخف تعصباً وكذباً، فالمضمار ليس هنا، فالحق أقدم من الباطلين، والميدان أوسع من التعصبين، والخيار في غير الكذبتين، وقلب المؤمن معلق بالسماء، ومن أبدى صفحته للحق هلك، ومن خشي صولة مذهبه نسي حق خالقه،.. ولكن هذا الصنيع المتصانع من هؤلاء، بالحرص على نفي ما يزعمونه باطلاً هنا وحفظ ما أسموه فضيلة هناك، لم يأت عن غير أمر، ولا اختاروه عن محض إدراك، وإنما وجدوا أنفسهم في سيول السياسة القديمة وأنهار الخصومة المتجددة، فقالوا كأكثر ما سمعوا وهووا، وكتبوا كأقل ما قرءوا ووعوا ، ولهذا الصنيع عند هؤلاء سببان، الأول سياسي، والثاني مذهبي، مع هجر السبب العلمي في الحالتين، وبما أن السبب السياسي معلوم من التاريخ، هو نشوء الدول على هذا الرأي، وتدرجها من التهوك بإطلاق التهم الكاذبة، إلى الاكتفاء بإنكار بعض الفضائل الثابتة، ومن علم قوة السياسة ووطئها على صماخ الحق، تيقن بقاء ندوبها في جباه الحقائق، فلابد أن يبقى لرأيها حَمَلَة، ولثقافتها كَتَبَة، وصواب الرأي بالدول، تأتي على عقول السوقة وإرادات الأئمة[13]، شهداء الله تذوب شهاداتهم بقتلهم وطول العهد، وبقي شهداء السلطة فوق كل منبر، وخلق الإنسان ضعيفاً، ولو انفرد إبليس ببني آدم ما بقي على الأرض من يعبد الله..(راجع المقدمة السياسية)

النبوية) و تابعته مدرسته بالجامعات الإسلامية السعودية..والدكتور أكرم وفقه الله قد راجع بعض آرائه التي كان قد تلبس بها أيام عمله أستاذاً في لجامعة الإسلامية.. فلحقه يومئذ شيء من هذا الرأي تأثراً بالوسط الضاغط..

[13] المراد بالإمام هنا السلطان الظالم، فهم أئمة في الشر، وأخذت العبارة من البيت المشهور لكثير عزة : لعن الله من يسب علياً.......... وبنيه من سوقة وإمام!